معالم الحضرية بحاضرة تلمسان الإسلامية

The urban lifestyle in Tlemcen Islamic Medina

سلمى صاولي [1] *، رضا بن تامي [2]
[1] جامعة تلمسان (الجزائر)، selomaseloma1993@gmail.com
[2] جامعة تلمسان (الجزائر)، maussboas@yahoo.fr
Saouli Selma [1*], Bentami Redha [2]
[1] University of Tlemcen (Algeria)
[2] University of Tlemcen (Algeria)

تاريخ الاستلام:2021/07/25 تاريخ القبول:2021/12/29 تاريخ النشر:2022/01/15

ملخص: يعد الاستهلاك مظهر من مظاهر تفشي الرأسمالية المعاصرة، يجعل المدينة عالمية التوجه بعيدا عن أصالتها الحضرية والثقافة الاستهلاكية في المدينة جزء مهم من الثقافة الحضرية، فنستطيع من خلالها الاستدلال عن نمط عيش وثقافة حضرية محلية، أما بالنسبة للاستهلاك كجزء من مخلفات الحداثة الرأسمالية والمجتمع الاستهلاكي فهو جديد نسبيا. والحياة الحضرية مغمورة بأساليب الاستهلاك وجزء مهم منها، فالتحرر من الزراعة والانتقال إلى التجارة بالفائض في الإنتاج هو ما شيد المدن الأولى. حاضرة تلمسان بموقعها الاستراتيجي على المحاور التجارية جعل منها مدينة الأسواق والحرف والصنائع ازدهرت في القرون الوسطى بسبب الاتفاقيات والتعاون بين الزيانيين وممالك الأندلس وعلاقاتهما الدبلوماسية المميزة. ثم دخلت الركود بعد دخول العثمانيين؛ حيث فقدت ريادتها وتحطمت القاعدة الاقتصادية بالاجتياح الفرنسي، وأُفرغت المدينة من محتواها الاجتماعي وفقدت صانعيها والحرفيين الذين جعلوا من منتجاتها عالمية. بعد الاستقلال كانت العودة محتشمة للسكان وأهملت الحرف والصنائع التقليدية، فدخلت الحاضرة طور استقبال الحداثة واستبدال التجارة والحرف بالاستيراد والاستهلاك، وعادت التبعية الاقتصادية التي عمل السلاطين الزيانيين بجهد لحلها فيما مضى، واستلاب نماذج حضرية جاهزة تدعم نزعة الاستهلاك بدل الاكتفاء الذاتي، وفقدت أصالتها الحضرية التي كانت ميزة لها فيما مضى بسبب العولمة ودخلت ضمن الركود الثقافي.

الكلمات المفتاحية: الاستهلاك؛ الحاضرة الإسلامية، الثقافة الحضرية، الأصالة، العولمة.

Abstract: The consumption is a face of modern Capitalism; it makes the city global and loses its Authenticity, to deal with the repressive Rationality in the modern society.The Islamic Medina is not an exception; especially with the invasion of Globalization. The consumption in the city expresses the place and the social identity, through the consumption spaces, goods and Market. Tlemcen Medina and its strategic location on the commercial hubs; made it a city of markets and crafts. It flourished in the middle Ages due to the cooperation between the Zyanid and the Andalusian, and their distinguished diplomatic relations. Then the beginning of the falling after the entry of the Ottomans, where it lost its leadership, and the economic base was destroyed by French overrun and emptied the city of its social contents. Besides, the replacement of trade and crafts with the import and consumption. Moreover, losing the economic dependency that Zyanid sultan worked hard to solve. Otherwise; the appropriation of ready urban models that support the consumption trend instead of self-sufficiency; and lost its urban origin that was an advantage to it previously and Tlemcen Medina one of these cities, which lost its urban Authenticity.

Keywords: Consumption; Medina; Urban Culture; Authenticity; Globalization

* المؤلف المرسل. مخبر المؤسسة الصناعية والمجتمع في الجزائر، تلمسان.

مقدمة:

التطور الطبيعي في جينات الكائنات هو نتاج تفاعل وتكيف مع البيئة حسب المنظور التطوري، ويبين ابن خلدون في مقدمته دور الأقاليم والهواء والمناخ في ألوان وأحوال البشر، أخلاقهم، وأن الانسان ابن بيئته، إضافة إلى أن الجزء الشمالي المعتدل أكثر عمرانا من الجزء الجنوبي الموحش، وتأثير البيئة القاسية والخشنة على طباع الناس ليس بمثل البيئة الناعمة؛ بيئة الوفرة والترف. قد تكون كتاباته وتحليلاته أولى إرهاصات البحث في الإيكولوجيا الحضرية التي طورتها المدرسة الامريكية؛ والتي اعتمدت في تفسيراتها التوجه التطوري، وانتقال التجمعات البشرية من التوحش إلى التحضر عبر مراحل تطورية لعبت فيها البيئة دورا محوريا، ثم التكيف مع البيئات الجديدة والثقافة الناتجة عن ذلك التفاعل بين الانسان والطبيعة، والحضرية أسلوب عيش سكان المدينة، يكتسبها القاطن الحضري كثقافة بعد طول العيش والاستقرار في المدينة.

إن أهم معالم الحضرية التي أوردها رواد مدرسة شيكاغو في نظرياتهم، كانت التركيز على كبر الحجم الكثافة واللاتجانس، إضافة إلى التخصص وتقسيم العمل والعلاقات السطحية بين القاطنين الحضريين، والعقلانية بدل العاطفة، بالاعتماد على التنظيرات الامبريقية للمدن الغربية، وخاصة مدينة الحداثة، كان الإنسان في الفترة ما قبل الصناعية قبليا وصعود المدن كان انتقالا من البربرية إلى التحضر، فأصبحت المدينة كائن عضوي يتميز بالانقسام واللاتجانس وسيادة الفردانية.

فالمدينة كبيئة نتاج انتقال من مراحل التوحش السابقة، إلى مرحلة النعومة والترف وفائض الإنتاج، أما المدينة الشرقية كان للدين دوره المحوري في تطور العمارة الحضرية، أساليب الحياة والسياسات الحضرية، وفي تشكيل النسيج الحضري للحواضر المشرقية والمغاربية. وللاستقرار المكاني عوامل بيئية، تاريخية، اقتصادية، اجتماعية وثقافية. فما هي معالم الحضرية وظروف تشكلها في الحواضر الشرقية وتحديدا حاضرة تلمسان؟ وما موقفها كحاضرة من العولمة الحضرية الرأسمالية وخاصة في فضاءات الاستهلاك وتغيرها؟

1.معالم الحياة الحضرية في حاضرة تلمسان

1.1. عوامل التحضر والاستقرار في تلمسان: أساليب الحياة الحضرية وتحضُر المجتمعات يتم خلال عملية انتقال بين طرفين أحدها البداوة والأخرى الحضرية ويصف ابن خلدون الحضر "أن لهم آداب في احوالهم من المعاش والسكن والبناء وأمور الدين والدنيا، وكذلك سائر عاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم يوقف عندها في جميع ما يتناولونه، ويلبسون من أخذ وترك وحتى كأنها حدود لا تتعدى" (ابن خلدون، المقدمة، 1974، صفحة 381) أما بالنسبة للحسن الوزان الملقب بليون الافريقي فهو يميز بين البدو والحضر بوضعيتهم الاجتماعية، فالعيش تحت خيام الوبر رمز الحرية والشرف بينما حياة الحضر هي رمز الذلة والعبودية (الوزان، 1983، صفحة 37)، أما المقري يصف مدينة تلمسان أنها مدينة عريقة في التمدن، تعمرها امشاج البربر، والعرب جمعت بين الصحراء والريف، خزانة زرع ومسرح ضرع، فواكهها عديدة الأنواع ومتاجرها فريدة الانتفاع وبرانسها رقاق رفاع (بن المقري ، 1968، صفحة 135) أما الحضر عند كربخال ربطهم بالعرب الذين دخلوا إفريقيا وقطنوا في المدن، وحضر يعني كييسين ويتعاطون

التجارة ومنهم الدارسون الملازمون لبلاط الملوك، وليسوا بتقدير العرب الأخرين قاطني البوادي المحافظين على أنسابهم، بعكس الحضر المخالطين لشعوب اخرى (كربخال، 1984، صفحة 97)

والاستقرار المكاني عامل أساسي لبداية التحضر يحتكم لعوامل بيئية؛ بالإضافة لتوفر الفائض في الإنتاج واستغلاله لاكتساب المكانة الاجتماعية، وتطوير الاقتصاد الحضري في المدن.

العوامل البيئية: أهم أسباب الاستقرار والتحضر مزيج من عوامل ايكولوجية، والماء أهمها؛ فأينما وجد الماء وجدت الخصوبة والتربة المناسبة للزراعة، والإنتاج والمناخ المناسب، وموقع مدينة تلمسان قريبا من البحر الأبيض المتوسط، ومناخها وخصبة تربتها تعد أهم الأسباب البيئية التي ساهمت في جذب الاستقرار البشري إليها والتوطن فيها. وبيئتها غير القاسية توفر أسس الحياة الناعمة والرغدة، على عكس البيئات الأخرى الجبلية الجافة، والصحراوية القاسية، التي تساهم في التوحش والخشونة. كما أشار لذلك ابن خلدون في مقدمته حول تأثير المناخ والبيئة في البشر وألوانهم والبيئات الخاصة بالبدو والحضر وعوامل العمران فيها (ابن خلدون، المقدمة 1974) موقعها الجغرافي منطقة استقطاب وممر تاريخي للطرق، وبلدة فلاحية بامتياز كما سميت مدينة البساتين في التسمية الرومانية القديمة لها "بوماريا". حيث تقع على السفوح الشمالية محمية بهضبة من الجنوب وربطت طرق التجارة بين الشرق والغرب وبين التل والصحراء وبذلك استأثرت باهتمام الإنسان منذ بدايات نشأتها (مقديش، 1988، صفحة 69) ويركز أغلب المنظرين في المنظور التطوري، الذي تمخضت عنه نظريات الإيكولوجيا وانصارها في الولايات المتحدة في الدراسات الحضرية لمدرسة شيكاغو؛ على أهمية العوامل البيئية في تحديد أنماط السلوك البشري وتطورها. ومن هؤلاء المنظرين روبرت ازرا بارك الذي أكد على أهمية البيئة في تفسير السلوك الإنساني في المدينة، ودور البيئة في تغير الجينات وتطورها وبالتالي تغير السلوك؛ فإنتاج ثقافات نابعة من بيئات معينة –وهو نفس ما أشار إليه ابن خلدون في فصول من مقدمته كما سبق–، والبيئة تجمع كل من الماء، المناخ، الموقع الجغرافي، نوع التربة، والتضاريس ... ويعتقد أن الزراعة شرط سابق للمدن مع انتشار الزراعة شجع ذلك الصيادين الجامعين على التخلي عن أنماط الحياة البدوية، وحياة الترحال والتنقل للبحث عن الطعام، والاستقرار بالقرب من الآخرين الذين عاشوا على الالتقاط قبل الإنتاج الزراعي. أنتجت الزراعة المزيد من الغذاء، أدى ذلك إلى تجمع كثافة سكانية كبيرة ومستقرة، وفوائض غذائية تتطلب التخزين فسهل الامر لظهور التجارة، وبالموازاة تطوير أساليب الزراعة، التخزين والحفظ للمنتجات المستعملة في المقايضات والتبادل. يبدو أن هذه الشروط هي متطلبات وشروط مسبقة مهمة لظهور حياة المدينة، التي وجدها علماء الاثار في منطقة الهلال الخصيب ومناطق من أمريكا اللاتينية، ويفترض المنظرون أن الزراعة سبقت تطور المدن، وأدت إلى نموها، وحاضرة تلمسان بموقعها الجغرافي وبيئتها، ساهمت في وقت مبكر على الاستقرار ومزاولة الزراعة ثم ظهور التجارة والمبادلات فيما بعد، إلى وقت ظهور الحرف والصناعات لاحقا.

الفائض في الإنتاج: كما ذكر ابن خلدون في تفريقه بين أساليب عيش البدو والحضر أن وجود الفائض يعني حياة الترف والدعة والنعومة، ويفضي بالإنسان إلى تصريفه واستغلاله فيما بعد للتبادل والتجارة، وهو ما يساهم في الاستقرار وإنتاج الثروة والانتقال من حياة التنقل والاستغناء عنه؛ إلى التركز في مناطق محددة

والاستقرار بها، والوفرة في الإنتاج وفائض الثروات يحسن من الوضعية الاجتماعية والاقتصادية، وزيادة الكثافة السكانية في تلك المناطق. فالمادة والثروة بأشكالها كانت عامل مهم في تشكل المدن وازدهارها وجاذبيتها لقاطنيها وللمهاجرين اليها من المناطق المجاورة والاحواز، وهو ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته حول اختلاف النحل وطرق المعاش وتحصيله، والانتقال من الحاجي إلى الكمالي، في مرحلة الانتقال من البداوة إلى الحضارة. "فمنهم من يقوم على الفلح والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوانات وهو اختصاص أهل البدو وهو بالمقدار الذي يكفيهم قوتهم وحاجاتهم لعجزهم عن فعل الأكثر وإن حدث وحصل أن حصَّلوا فوق حاجاتهم جعلهم ذلك يستقرون، وحصل الترف واستغلوا ذلك في الاستكثار من الاقوات والملابس والتأنق، وتوسعت بيوتهم وبدأت أولى ظروف التمدن واختطاطها للتحضر وتصبح لديهم عوائد الترف والنعومة بعيدا عن الخشونة وقساوة البدو ولبس الحرير والملابس الفاخرة والتفنن في شتى المجالات، واتخاذ القصور والاسوار والبيوت والصروح، وينتحل الحضر الصنائع والتجارة ومكاسبهم أرفه من البدو لأن فيه زيادة ودعة عن الضروري وتصبح طبيعة متأصلة فيهم" (ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون – الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ، 2001 صفحة 187)

2.1. الظروف التاريخية والاجتماعية لتشكل أساليب الحياة في مدينة تلمسان:

الظروف التاريخية: يساهم طول الإقامة المكانية في تحول المجتمع من مجتمع القبيلة إلى مجتمع البلدة؛ ثم المدينة أو الحاضرة (بالتسمية الشرقية للمدينة)، والتركز السكاني والكثافات الكبيرة تنشأ زمنيا تبعا لظروف تاريخية وحضارية، حيث الجذب المكاني ينشأ بطول الإقامة والاستقرار المكاني. البداية كانت من المملكة النوميدية التي تمتد من جنوب الاوراس، للمحيط الأطلسي وانتهاء الحروب البونية الثالثة 140ق.م إلى استيلاء الرومان على المنطقة في سبيل رومنة العالم، وسواحل افريقيا (بوطبل، 1986، صفحة 11) وقد سميت بوماريا؛ ثم افتكاك الوندال الشعوب الجرمانية لها ثم بعدهم البيزنطيين، و الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا بقيادة عقبة بن نافع؛ والاستيلاء التركي العثماني، وأخيرا الاجتياح الفرنسي لها في القرن 19م. فحاضرة تلمسان مر عليها تاريخيا عدة حضارات ودويلات من عدة ثقافات، بدايةً من عصر ما قبل التاريخ والعصر الحجري. (بن رمضان شاوش، 2011)، ينتمي لمدينة تلمسان ثلاثة عناصر بشرية: العنصر البربري، العربي، والتركي، حيث أسس تلمسان قديما بنو يفرن من قبيلة زناتة، التي استوطنت شمال إفريقيا ثم بنو عبد الواد الزيانيين، وبعد نزوح عرب الجزيرة العربية اختلطوا بهم عن طريق المصاهرة وهم الأعراب الحضريون، ومنهم أيضا المهاجرون من الأندلس الذين لجأوا إلى تلمسان؛ قبل وبعد سقوط الأندلس، والعنصر التركي الذين دخلوها حوالي القرن العاشر الهجري، حيث كانت دولة بني زيان على وشك الانهيار (بولقدام). بعد استنجاد أبو زيان بعروج ليعينه على عمه أبو حمو الثالث الذي يحكم تلمسان، ويخدم السياسة الاسبانية واستولى عروج على المدينة (بن عتو، صفحة 74)، وفي مرحلة ضعف الزيانيين كان البحر المتوسط تحت وصاية الاتراك العثمانيين، والذين استجابوا لطلب نجدة الجزائريين خاصة السواحل التي تعرضت لغارات الإسبان، وعرفت حينها تلمسان مرحلة الركود والتراجع عن أداء دورها الحضاري، واهمالها

بعد تغير طريق الذهب عبر المحيط الأطلنطي. مع عصر النهضة والأنوار في أوروبا وطرد آخر الموريسكيين من إسبانيا وكما يذكر ابن خلدون فإنهم تشتتوا وانتشروا في المغرب وافريقية وشاركوا أهلها العمران بما لديهم من الصنائع وشكل هؤلاء الوافدون أساس الاقتصاد بمدن المغرب الأوسط وخاصة الساحلية منها (بودالية، 2013، صفحة 258). في منتصف القرن 19م تعرضت الجزائر للاستعمار الفرنسي الذي دخل تلمسان سنة 1842م وكانت أسوء الفترات التي مرت عليها المدن الجزائرية وتلمسان تحديدا، كونها عاصمة وحاضرة إسلامية عتيقة وسعى المستعمر لطمس تلك الهوية الحضارية الشرقية.

الظروف الاقتصادية: تطوير الاقتصاد الحضري يساهم بشكل كبير في زيادة نسب التحضر، والركائز الاقتصادية وتنوعها يزيد من فرص كبر حجم المدينة وتنوعها العرقي والاثني ، وتصبح الصناعة بعد التجارة الركيزة الأساسية لبناء اقتصاد المدن، وتذكر الباحثة الواليش فتيحة أن "الحرف والأنشطة التجارية كانت الوظائف الأساسية في بايلك الغرب ومنها نجد ثمانية مصانع في تلمسان للصناعات الفخارية في القرن 18م والحلي والخياطة وخاصة استخدام خيوط الذهب التي كانت مطلوبة من الطبقة الأرستقراطية آنذاك، وصناعة الجلود ودباغتها والأحذية فالدباغ وحده يمون عدة صناعات، منها صناعة الأحذية والطرز على الجلود ويحمل شارع معسكر اسم تلك الحرفة" (الواليش، 1993-1994، صفحة 62) وشكلت الصناعة أساس اقتصاد حضر تلمسان وحتى أريافها واهتموا بجودة وإتقان صنائعهم كما يذكر مارمول كاربخال "دكاكين صناعتها وتجارتها مرتبة " (بومدين، 2020، صفحة 106) وهنا يدخل عامل التخصص والتقسيم الدقيق للعمل والمميز للحياة الحضرية في المدينة، حيث لكل ساكن حضري مهنته وتخصصه، وكلما زاد التحضر زاد التخصص المهني وتقسيمه أكثر؛ وهو من معايير الحضرية في أغلب المدن العالمية على مر التاريخ.

أهمية الموقع الاستراتيجي لحاضرة تلمسان جعلها تسيطر على الطرق التجارية كما يؤكد الإدريسي عند حديثه عن تلمسان، حيث زادت أهمية هذه الطرق منذ القرن 12م، ساهم ذلك في تفاقم السرقات وانتشار اللصوص في تلك الطرق، وقد كانوا غالبا أعرابا متمرسين على الكر والفر، كما أشار لذلك أيضا الحسن الوزان المدعو ليون الافريقي (بلحسان و بوداود، 2019) وقد عقد الكثير من السلاطين الزيانيين معاهدات مع هؤلاء الأعراب، لحماية القوافل وتأمين طريقها وضمان استمرار ازدهار التجارة في حاضرة تلمسان؛ والأمان أحد أهم أسباب الاستقرار والجذب الحضري، حيث استحدث الزيانيون تنظيمات جديدة لتوفير الأمن والاستقرار على طرق التجارة وتأمين القوافل والأموال بين الشمال والجنوب وإقامة فنادق، وساحات للتجار وتنظيمها واعتمدوا مراقبين ومحاسبين؛ لتحديد نظام الأسعار والحد من السرقة والغش، واستفادوا بذلك من تجارب الاندلسيين المهاجرين لتطوير طرق حديثة ودقيقة في الأسواق وتحديد المكاييل والتسعيرات. (طوهارة، 2014) فكان اهتمام الحكام والسلاطين التلمسانيين الحد من التبعية الاقتصادية للخارج، وتحقيق التنمية الحضرية والاكتفاء الذاتي، واعتماد الحاضرة على مواردها الخاصة، فكان اقتصادها ذاتي التمويل ويعتمد على اليد المحلية في الصناعات والحرف، ما ساعدها في أوقات الحصار والأزمات، والمجاعات والحروب.

الظروف الاجتماعية والثقافية: للظروف الاجتماعية والثقافية دور مهم في تشكل أساليب الحياة الحضرية وفكرة الثقافة باعتبارها الطريقة الكلية في عيش الحياة؛ قد تكون أكثر صوابا على المجتمعات القبلية او ما قبل الحديثة؛ يقول الباحث الاجتماعي البريطاني الماركسي تيري إيغلتن فكرة الثقافة يمكن اعتبارها طريقة كلية في عيش الحياة (ايغلتن، 2018، صفحة 42). وقد أعطى الأنثروبولوجي البريطاني تايلور تعريفا للثقافة في القرن التاسع عشر؛ وصفها المركب المعقد الذي يحوي المعرفة ،المعتقدات، الفن، الاخلاق، القانون، العادات، التقاليد والدين وكل ما يمكن أن يكتسبه الفرد كعضو في مجتمعه، والثقافة حسب جيمس باي لا تحمل نبرة تقييم مثل القول أن الافارقة لا يعززون ارتقاء أي ثقافة والمقصود بها أنها مفتقدة إلى القيمة في الانساق القيمية للحضارة ولم تدعم نفسها حضاريا عكس الحضارة الغربية مثلا؛ رغم كونها في أحيان لا إنسانية (ايغلتن، 2018) وما نفهمه من سياق حديث إيغلتن أن الثقافة أو الحضارة الخاصة بمكان أو مجتمع ما يتم دعمها محليا، وإعطاؤها تلك القيمة الحضارية التاريخية، وسعت الحواضر الشرقية للإسهام في شتى المجالات الحضارية، الثقافية والعلمية لكن كانت بشكل أقل صرامة تدون وتدعم مخرجاتها الحضارية، بسبب تقهقر وتراجع أوضاعها في المراحل التاريخية الحديثة، ضمن صراع الحضارات والثقافات في العالم. وجعلها تفقد ذلك البريق الحضاري الذي حظيت به لقرون عدة، ولعل فكرة ابن خلدون في أن المغلوب مولع باتباع الغالب ساهمت في تراجع الأجيال الحالية القاطنة بتلك الحواضر عن الاهتمام بذلك التاريخ الحضاري واستخلاص الدروس والعبر منه، كما سبق لأسباب حضارية سياسية أو اقتصادية وثقافية. والحضري يلقب باللغة المحلية في الحواضر الإسلامية خاصة شمال إفريقيا "بالبَلْدي" وعلى الأغلب من كلمة بلدة وهي صفة تعبر عن حالة تلت حالة البداوة وقدم الاستقرار والتأصل في البلدات أو المدن، هي من معايير الرفعة الاجتماعية ، والبلدي عموما يكون تاجرا او حرفيا، إضافة للمهن العلمية والإدارية والقضائية، يمتلك منزلا في المدينة، وقد تكون له بساتين وجنات على الحواف وأحواز البلدة (جنات وبساتين والبلْدي ينتمي إلى المدينة بولادته وحياته ووفاته ويظهر في إيديولوجية الانتماء للمدينة حيث تترسخ في عقلية الحضر) (جدلة، 2010، صفحة 45). الثقافة الحضرية تتشكل من تمازج وتنوع الأعراق والإثنيات، الطبقات الاجتماعية، والحراك الاجتماعي ولا تجانس تلك الفئات الاجتماعية وتنافسها في الفضاء الحضري. ذكر الباحث عبد العزيز فيلالي الفئات والإثنيات التي شكلت نسيج مدينة تلمسان وهم تباعا الأعزاز، الأعلاج او الصقالبة، السود، المسيحيين، اليهود، أتراك كأقليات وموريسكيين وكراغلة وحضر أهالي اغلبية بينهم بربر وعرب وهم الساكنة الأصيلة والأولى لبلدة تلمسان القديمة (فيلالي، 2002) إضافة لأقليات فاسيه دورهم هام في التجارة البرانية التي تضم مزابيين زواوة، ومجموعات ريفية استوطنت المدينة للعمل، وأجرت بيوتا أو عملت في بيوت الأثرياء في البساتين وخدمات البيوت. وبالنسبة للطبقات الاجتماعية الحضرية فكانت الأعلى الطبقة الأرستقراطية شكلتها الفئة السياسية الحاكمة، والأرستقراطيات الدينية شكلتها البيوتات الحضرية العلمية والدينية تتمثل في الأشراف والمرابطين، مثل عائلة السنوسي والمقري. ثم الطبقة البرجوازية الحضرية كونها الأعيان والعلماء المشكلين للجهاز الإداري والتعليمي؛ ومنهم أيضا التجار والحرفيون وهم الرئيسيين في النشاط الحضري بتلمسان، طبقة عريقة التحضر لها ملكيات

وثروات، ثم الطبقة العامة السفلى، وشكلوا البروليتاريا الحضرية تعيش على الهامش يمتهنون مهن وحرف بسيطة تكفيهم قوت يومهم (الواليش، 1993-1994).وهو ما يعبر عن التنوع واللاتجانس الذي عرفته الحاضرة من حيث الفئات المكونة للمجتمع، وطبقاته انتماءاته العرقية، واحتوائها معا وتعايشها معا في المدينة؛ دليل على نسبة عالية من التحضر. كان الدين الإسلامي محور الحاضرة في الفصل في كل الأمور والقضايا، وقرب الحكام رجال الدين وعلمائه إليهم، لتواصل نفوذهم وسطوتهم وإخضاع المتمردين والخارجين عن الحاكم والسلطان، خصوصا عند العلم أن أهل المنطقة منذ ما قبل التاريخ متعلقون بالآلهة، ويعتبرون رجال الدين أقرب الناس للإله.

ذلك التنوع أعطى ميزة حضرية للحاضرة فصارت مركز استقطاب سكاني، ووصلت أعلى كثافة حضرية تجاوزت 125 ألف نسمة في العهد الزياني، خاصية حضرية أخرى فالكثافات الكبرى تساهم في نقص أواصر القرابة، واستبدالها بالعلاقات السطحية والنفعية وتقسيم العمل وتخصصه. ميزات اجتماعية حضرية ميزت مختلف مدن العالم، فالأعداد الكبيرة والكثافات السكانية تجعل من العلاقات القرابية والمعرفة الشخصية؛ أمرا صعبا بين كامل سكان المدينة عكس القرى والارياف ذات الكثافات السكانية القليلة والصغيرة.

2. الحضرية والاستهلاك في ظل العولمة

1.2. أساليب الاستهلاك الحضري في مدينة تلمسان: العادات الغذائية والاستهلاكية نتاج سلوك غذائي ذي محددات كثيرة، منها ما هو مرتبط بالحاجة والضرورة مثلما يحصل في البوادي والقبائل، أو بعقلية المتعة والترف لدى الحضريين بالمدن (البركة، بنحمادة، والبياض، صفحة د.ص). فالاستهلاك وعوائده مجال خصب للبحث عن معالم الحضرية وخصوصياتها في المدن والحواضر. تلمسان اعتمدت لقرون على إنتاجها الذاتي والاكتفاء واستغلال الأرض في الزراعة والإنتاج والاستثمار في الصناعات للتصدير؛ وخاصة الحرف التقليدية التي ساهمت الجماعات الاجتماعية المتنوعة في الحاضرة وبالأخص الموريسكية التي جلبت قيما جديدة وكانت استثمارا وربحا للحاضرة في مجال الإنتاج والتسويق والتجارة، حتى في أشد وأصعب فتراتها؛ حين تعرضت لهجمات وحصار خارجي ولمرات عدة، استطاعت تمويل نفسها باستغلال المورد المحلي. وفي فترة الحكم العثماني كانت متطلبات الاستهلاك اليومي وتلبيتها لاتزال تعمل وفق عادات أقدم؛ تعود معظمها لما بين القرن 12م و14م فترة ازدهار الدولة الزيانية، حيث استمر تلبية حاجات زيت الزيتون مثلا من عصره والدقيق من طحنه في المطاحن المحاذية لأطراف المدينة، وأجزاء داخلية في أحياء قريبة للمطامر. كان سوق تلمسان أهم سوق في بايلك الغرب نتيجة وقوعه على محاور التجارة الكبرى، يسمى تاجر محلات صغير الحوانتي وتاجر للبيع بالجملة، يشكلون برجوازية وسطى وطبوغرافية الأسواق تبين وجود تجارة نبيلة، وحضرية وتجارة ريفية؛ المترددون عليها ريفيون قادمون من الأطراف والأحواز والأرياف القريبة، وهي تتمركز في أطراف المدينة؛ لتسهيل العملية على القادمين من الخارج، يتم تبادل سلع يحتاجها الريفيون مقابل سلع ريفية كالألبان ومنتجات القرى الأخرى للحضريين (الواليش، 1993-1994). ما يؤكد على مدى أهمية تقسيم مجالات الاستهلاك في الحواضر ونوع الاستهلاك فيها، والرموز المستخدمة في العملية الاستهلاكية، ونظرة كل من البائع والمستهلك قد تكون غالبا

نظرة اعجاب بالنسبة للوافدين والقادمين للمدينة، ذلك عائد لميزة الجذب الحضري؛ يظهر من خلال التنوع في السلع الكمالية وأحجامها وأشكالها وزخارفها. يكون قضاء يوم في المدينة للتسوق أو التجوال فيها مصدر فخر وقصص يرويها الريفي أو البدوي لأهل قريته أو قبيلته، عما شاهده وسمعه في المدينة، وتأثيرها عليه سواء إيجابا أو سلبا أحيانا فالعيش الناعم والترف ليس مصدر ترحيب للجميع. تشكلت النخبة الاجتماعية في تلمسان والأرستقراطية الحضرية من تزاوج يطلق عليه الباحث فوزي سعد الله تحالف النفوذ السياسي العسكري؛ مع نظيره الاقتصادي الاجتماعي والثقافي، بالنسبة للسياسي العسكري فهو يمثل زواج الأتراك والكراغلة فيما بعد مع الأندلسيات اللواتي كن من الأسر النازحة إلى الجزائر منذ سقوط غرناطة، وحتى قبل ذلك، فبعد دخول الأتراك وجدوا أن الموريسكيين احتلوا فئة النخبة الاقتصادية والاجتماعية، وفضلوا الزواج من اندلسيات. قد كن أقرب في اشكالهن إلى الأوروبيات معروفات بالشقرة حسب ما أشار إليه جورج مارسي عند زيارته لمدينة تلمسان، كما أنهن عرفن بالجمال والحسب والنسب والثراء، كانوا من صفوة المجتمع بعدما استفادوا من مقدراتهم السابقة وغيروا مدن الجزائر كثيرا في شتى نواحي ومجالات العيش، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية والفكرية (سعد الله، 2016، صفحة 74). أما الكراغلة كانوا نتاج زواج تركي بأندلسية أو من الحضر الأهالي القاطنين الأصليين والأقدم في المدينة. ولا شك أن الأندلسيين كانوا منغلقين على ثقافتهم الحضرية وأساليب عيشهم، حيث رفضوا الزواج من الأجانب، قبولهم بالعنصر التركي نوع من الاستثمار في نفوذهم العسكري والسياسي، إضافة لكونهم من أنقذهم من محاكم التفتيش والقتل بعد سقوط الأندلس، وقد يسميه البعض نوعا من العنصرية وأيا ما تكن فالأهم أن هذين القطبين شكلوا النخبة الأرستقراطية في الحواضر. بالإضافة لكون الموريسكيين كانوا قريبين من أوروبا غالبا قد حملوا بعض القيم التي كانت من بذور الرأسمالية الأوروبية، وهذه الفئة يغلب عليها الطابع الحضري والافتخار والاعتزاز بالأصول الأندلسية والحضرية وعدم الاندماج مع الآخر، مع وجود قلة من الاندلسيين الريفيين والفلاحين؛ الذين قرروا بعد استقرارهم مزاولة البستنة والفلاحة في الأحواز. تأثير ثقافة الموريسكيين على مدينة تلمسان تمت بشكلين الأول في فترة تقريب السلاطين الزيانيين للعلماء الاندلسيين وتوظيفهم في تلمسان، أما الشكل الثاني فهو عند حدوث الهجرات القسرية بعد طردهم وسقوط آخر إمارة أندلسية وهي غرناطة في 1492م، حيث فضلت كثير من الأسر النازحة الاستقرار في حاضرة تلمسان التي لم تكن غريبة عنهم لتلك الدرجة بسبب التأثير الأندلسي على تلمسان، ويرصد باحثون ومؤرخون مهتمون بالدراسات الأندلسية حجم التأثير الكبير للثقافة الموريسكية على الثقافة المحلية في المجتمع المغاربي عموما وتلمسان خاصة، فلم تلقب بغرناطة إفريقيا عبثا فجملة لا غالب الا الله التي زينت قصور الأندلس ومنازلها زينت أيضا تلمسان ونقشت على عمرانها سواء أكان مسجدا أو قصرا أو شاهد قبر، وانتشرت قيمهم الاستهلاكية على نطاق واسع وعرفت ثقافتهم رواجا واقبالا كبيرا عليها كما يشير الباحث فوزي سعد الله فهم كانوا البطة التي تبيض ذهبا وكانوا كنزا قيما وثريا أضاف الكثير وشكل القيم المعاصرة في مدن جزائرية، فنجد مثلا أن تسمية الأسواق "قيسرية" تسمية اندلسية لاتزال موجودة للوقت الحالي في مدن اسبانية، يعود تاريخها لفترة الوجود الإسلامي. بعد الاحتلال الفرنسي تراجعت تلمسان وهجرها الحضر نحو فاس ومدن مشرقية وحتى إلى تركيا، وبعد رجوع بعض الأسر النازحة من تلمسان ومطالبتها بأملاكها الخاصة.

لكن مواد استهلاكية جديدة دخلت تلمسان بعد الاستعمار الفرنسي مثل الحليب المجفف الذي عرف في تلمسان عن طريق دخول الأمريكيين إلى تلمسان سنة 1942، وكان يطبخ ويوزع للتلاميذ أثناء الاستراحة الصباحية، وكان الفقر شديدا في ضواحي تلمسان في فترة الاستعمار الفرنسي، حيث يصف الأستاذ دندان سيد أحمد في كتابه الحياة اليومية بتلمسان أن سكان القرى المجاورة كانوا عراة حفاة وبؤسهم يستحيل تحمله (دندان، 2001) وبذلك يمكن القول أن البيئة الحضرية والريفية في الفترة الاستعمارية الفرنسية كانت تنبأ عن كثير من التدهور العمراني للطابع الإسلامي لمدينة تلمسان، كما التدهور الاجتماعي والثقافي وفقدان الطابع الإنتاجي واستبداله بالاستهلاكي حيث شهدت المدينة هبوط في الكثافة السكانية في فترة الاستعمار وبلغ عدد السكان حوالي ستة آلاف نسمة بينما في فترات سابقة وصلت إلى حدود المئة وخمس وعشرين ألف حضري (Abadie, p. 08).

بالنسبة لوظيفة المرأة التلمسانية في مجال الاستهلاك المنزلي وعاداته بمدينة تلمسان في الحقبة الاستعمارية؛ تقتصر على التنظيف وترتيب الافرشة وترقيع الملابس وغسلها، وتحضير الأكل والتسوق لحاجات يوم واحد وشراء الخضر وإيقاد النار وتحضير الخبز(المطلوع) وإرساله للفران في حي المدينة لإنضاجه ويقوم بذلك الأطفال إضافة لأعمال أخرى يساعدون بها أسرهم مثل سقي المياه من الحنفيات العمومية. كانوا يستخدمون مائدة مستديرة وصحن واحد مشترك والاكل بالأصابع، وتغسل الأم الأواني في صحن الدار (دندان، 2001) ويتم تقسيم العمل من خلال الأدوار الاجتماعية لكل فرد في الأسرة وتتم تنشئتهم اجتماعيا عليها.

أما الاستهلاك وما ميز قاطني مدينة تلمسان اعتمادهم على الاستهلاك اليومي وشراء الضروري فقط، والاقتصاد في المعيشة خبرة اكتسبها التلمسانيون عبر قرون، والاقتصاد في العيش سببه الأزمات والمجاعات والحروب التي عرفتها مدينة تلمسان، وقد يكون الكعك التلمساني نتاج تلك الخبرة الاجتماعية المريرة بحيث يعد من مواد بسيطة ومتوفرة اقتصادية وبنكهات صلب في قوامه ومعد من مواد متوفرة واقتصادية، وربما كان أكثر ما يتناولونه في تلك الازمات والحصارات التي مرت بها المدينة خاصة منذ القرن العاشر الى غاية القرن العشرين في فترة الاستعمار الفرنسي.

كان الحرفيون متضامنين في شوارعهم الخاصة ومتعاونين في الأعمال الشاقة وهو نوع من التنظيم الاجتماعي النفعي حيث تُساعد ليتم مُسَاعدتك وقت الحاجة، ونمط العلاقات هذا عقلاني؛ له أهداف آنية او مستقبلية، تدخل ضمن نطاق التضامن العضوي، وفق إرادة عقلانية وليست طبيعية أو آلية، والربح المادي للارتقاء في سلم الهرم الاجتماعي، تسلقه كان بذرة من الرأسمالية لكن بصيغة شرقية ذو طابع ديني طبقا لما تمليه أحكام الشريعة الإسلامية من التكافل الاجتماعي والتعاون، فالدين كان عنصرا محوريا مهما في الحواضر الإسلامية والتعاملات. أغلب الفئات العليا كانوا تجار ومالكوا رؤوس أموال، و الحراك الطبقي كان ممكنا باعتماد آليات عقلانية متوارثة منها الصبر إتقان العمل والاهتمام بتطوير المقاولات العائلية، والاحتفاظ بسر الحرفة ضمن الأسرة وتلقينها عبر الأجيال وتطويرها حسب الطلب، والعلاقات وظيفية لكل سلوك هدف ونتيجة، لا يعبر عن تضامن آلي طبيعي تثيره عواطف الانتماء القبلي أو العصبية كما يسميها ابن خلدون، إضافة لتقسيم العمل والتخصص لكن بتفعيل دور المؤسسة الاسرية في الحاضرة، روابط التضامن العضوي التي ظهرت في دروب الحرفيين لم تكن دموية ولا

تلعب القرابة دورا في ذلك بل روابط تشارك المهنة والفعل ورد الفعل، فقد عرفت السلع التلمسانية بجودتها في الأسواق المحلية والخارجية، كان التجار التلمسانيون يدفعون ضرائب أكبر بسبب عائداتها وتمتعهم بالثراء، وجودة سلعهم واتقانهم لحرفهم وصنائعهم فكانت قيم الاستهلاك غائبة في ظل قيم الإنتاج، واعتماد الممارسات العقلانية في سلوكاتهم الاستهلاكية.

2.2. الأصالة الحضرية لتلمسان في ظل عولمة القيم الاستهلاكية: لم يعد لمدينة تلمسان ذلك الدور المهم اقتصاديا فقد فقدت القاعدة الاقتصادية الحرفية، التجارة المحلية وأصالتها الحضرية، وهو الملاحظ حاليا؛ واختفاء الحرف التقليدية التي كانت رأسمال اجتماعي واقتصادي وميزة حضارية لحاضرة تلمسان؛ ذلك بعد غزو الرأسمالية وقيمها الاستهلاكية الجديدة. وبما أن الغالب مولع بتقليد المغلوب كما يقول ابن خلدون فقد تم التخلي تدريجيا على القيم الاستهلاكية المحلية واستبدالها بالقيم الرأسمالية الغربية المستوردة. حلت قيم الاستهلاك بدل الإنتاج؛ فالعولمة غيرت وجه مدينة تلمسان الحاضرة الإسلامية وصارت نموذجا عن المدينة الاستهلاكية العالمية. لربما لم يتم بناء قاعدة اقتصادية منذ البداية، لكن ظلت المحاولات للقضاء على التبعية منذ حكم السلاطين الزيانيين؛ الذين كانت تُصَدّر في وقتهم المواد الخام الى أوروبا ويتم تبادلها بمواد مصنعة، هو ما ساهم في تواصل التبعية الاقتصادية ثم الاجتماعية والثقافية فيما بعد الحداثة. إن علاقة الناس بالفضاء الحضري والتغيرات التي تحدث في البيئة الحضرية والأحياء؛ وكيف يرى الباعة والمستهلكون المحلات وفضاءات الاستهلاك تعبر عن تغلغل الرأسمالية والنزعة الاستهلاكية في غالبية المدن العالمية؛ حتى أكثرها مقاومة للتغير الثقافي واعتدادا بذاتها، من خلال فضاءات الاستهلاك الجديدة والحداثية، واختفاء معالم الاصالة من المدن والميل لكل ما هو فخم وعصري. إضافة للتحسين الحضري غير الرسمي الذي تساهم في انتشاره فضاءات الاستهلاك الجديدة ، حيث أصبح الحيز الحضري رأسمال ثقافي، يعبر عن المكانة والتمييز الاجتماعي في المدينة في بنية الطبقات الحضرية وتساهم الأحياء المحسنة بفضاءات الاستهلاك الحداثية في اقصاء كل ماله علاقة بالأصالة، التي تنتشر في أجزاء مهمة وقديمة في المدينة، وتساهم في افقار قاطنيها ونزولهم في السلم الاجتماعي وتدهور مركز المدينة القديم، حيث تكون تلك الفضاءات وجهات لتصورات استهلاكية جديدة ومختلفة تقوم على الاستهلاك واستبدال الإنتاج الذي ميز المدينة لقرون وأعطاها دورها الحضاري والتاريخي بالنزعة للاستهلاك المفرط. تجارب تقييم المكان قوالب عالمية جاهزة تتجند لتفعيلها آليات عديدة للإشهار والاعلان لها. والتخلي عن الأصالة الحضرية في حاضرة مثل تلمسان يعني تراجعا حضاريا وضمورا؛ ودخولها في السياق العالمي للحواضر وانفتاح على السوق العالمية وقيمها. إن تغيير طريق الذهب قد سبب تراجعها حضاريا لكن العولمة طمست معالمها تماما واخرجت نموذجا حضريا مشوها؛ وخاصة بعد موجات الترييف الكبرى، كغيرها من باقي الحواضر الاصيلة والقديمة في العالم الإسلامي التي عبرت عن حضارة وأصالة وعراقة المدن الشرقية، ولم يشفع لها تقبلها التنوع العرقي والثقافي، والانفتاح وعدم صلابتها ومرونتها من ناحية استيلاب القيم الثقافية الجديدة؛ بأن تسلم من التشوه في الحيز الحضري الذي ميز باقي المدن الاستعمارية التي تشكلت في القرن الماضي تحت السياسة الاستعمارية المدمرة، والتي شكلتها مجموعات قبلية ريفية متشددة في حيزها ومنفلتة في الحيز الحضري الذي تهاجر اليه وتعمره، بالتالي

تجمد دور تلمسان الحضاري الذي كان يجب أن تلعب دورها فيه كما كانت خصوصا أنها من أقدم مدن وحواضر شمال افريقيا.

3. الخلاصة:

إن السوق العالمية تروج لنموذج حضري عالمي موحد، وهو نموذج ليبيرالي رأسمالي، وتقوض دور الثقافات الفرعية المحلية الأصيلة، بحيث تنتج مدينة واحدة وعالمية بمواصفات غربية، وفق اعدادات نموذجية موحدة ومعدة مسبقا لما تتطلبه السوق الرأسمالية، النزعة الاستهلاكية والمجتمع الاستهلاكي العالمي. ذلك قضى على الهوية الحضرية الأصيلة للمدن والحواضر في العالم، وخاصة العالم الإسلامي في ظل التنافس والعولمة الثقافية، حيث تُستورَد للسكان الأصليين والمحليين نماذج ثقافية جديدة حداثية؛ ما يساهم في تهميشهم واستبعاد ثقافتهم، فتقع المدينة وسط صراع مربك، وهو ما تواجهه حاضرة تلمسان القديمة، حيث يخيرها بين البقاء محافظة فتلقى التهميش والانغلاق على ذاتها، او الدخول في نطاق النموذج الحضري العالمي للمدينة. وبالتالي تتخذ موقفا من الحداثة إما الذوبان فيها بما تحمله من إيجابيات وسلبيات، أو المقاومة والمحافظة على الأصالة والاغتراب؛ أما خطر فقدانها لأصالتها يحدده الحضَر أو القاطنون الأصليون فيها، ومن الواضح أن الحواضر الإسلامية القديمة والعريقة كانت اكثر مقاومة ثقافيا واعتزازا مقارنة بالمدن الحديثة النشأة؛ والتي شكلتها كتل مختلفة من المهاجرين الريفيين حول نواة حضرية استعمارية سابقة، الذين تبدو ثقافتهم أكثر هشاشة بعيدا عن محيط القبيلة وعن الرقابة الاجتماعية التقليدية في الأرياف حيث منح الأفراد مجالا للانسلال والحرية والفردانية والاندماج أسرع في الثقافة الغالبة، مع تفكك ثقافة القبيلة والعرش رغم وجود نوع من المقاومة في البداية ، الاختلاف لا يعني التخلف فيمكن استغلال التنوع الثقافي للترويج للمدينة، وتقديم الجديد وخاصة الترويج للسياحة المحلية؛ فتسليع الثقافة المحلية أحد السبل الجديدة للمقاومة والترويج للمدن الشرقية والاسلامية حيث تستفيد المدينة من عدة نواحي، تساعد على الترويج للسياحة المحلية، وتقدم التجربة الجديدة لإرضاء الذوق العالمي المتطّلب، وحماية التراث والأصالة من جانب اخر. ترميم الثقافة المحلية المتهاوية في ظل الصراع الحضاري بين الأمم، والمحافظة على التراث الإنساني الأصلي. إن الانسلاخ الثقافي له تبعاته فهو يحيل المدينة إلى فضاء عمومي يجعل الافراد يتعاملون بسطحية وبدون فعالية حضارية، حيث الأنا والحرية الفردية هي معيار التعامل بينهم، قد تزيد التنافس وتحرك عملية التطور الاجتماعي والطبيعي في المدينة؛ لكنها تجوف المساحة الشخصية، ما يجعل الفرد أكثر ضعفا في التواصل الاجتماعي وأقل إحساسا بالأمان؛ أكثر اغترابا، وفريسة سهلة للسوق والاستهلاك العشوائي والفراغ؛ بدل الفرد العضوي الفعال اجتماعيا. مدينة تلمسان حاليا تتموضع كغيرها من الحواضر الإسلامية القديمة وسط هذا الصراع الثقافي العالمي، وتحاول اتخاذ موقف من النموذج الحضري الحداثي. وهنا يكمن دور مؤسسات المجتمع الحضري في الترويج والمحافظة على أصالتها وثقافتها، وترميم ما تسببت العولمة في زواله أو إهماله في النسيج الحضري، كتهميش الحرف والصناعة التقليدية، وتغير وجه المدينة الأصلي وزوال الحرف والمهن التقليدية والمحلات والأسواق الشعبية، وانهيار المقاولات الحرفية العائلية التقليدية؛ التي استُبدلَت بالتوجه نحو مهن خدمية؛ كالطب عند فئة الحَضَر الذين كانوا في غالبيتهم تجارا وحرفيين أو نساجين وخزفيين وحتى معماريين ونقاشين. هو ما ساهم في تدهور دورها الاقتصادي والتجاري، الذي ميزها لقرون في شمال إفريقيا ولوم الحداثة والعولمة وحده غير

موضوعي فالمجتمع المتواطئ؛ كما يسميه الباحث الحضري ستيفن مايلز في كتابه فضاءات للاستهلاك " **Spaces for Consumption**" هو ما يتسبب في تدهور الثقافة الحضرية الأصيلة والتحول إلى المجتمع الاستهلاكي الذي يميز مجتمع مدينة ما بعد الحداثة.

– قائمة المراجع:

Abadie, L. (n.d.). Tlemcen au passé rtrouvé. Jacques Gandini.

ابراهيم جدلة. (2010). المجتمع الحضري بافريقية في العهد الحفصي . قفصة، تونس: مطبعة قطيف.

التلمساني احمد بن المقري . (1968). نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب–المجلد 07. بيروت، لبنان: دار صادر.

الحاج محمد بن رمضان شاوش. (2011). باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان–الجزء الأول. ديوان المطبوعات الجامعية.

الحسن بن محمد الفاسي الوزان. (1983). وصف افريقيا الجزء الثاني. (محمد حجي، و محمد الاخضر، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي.

بلبروات بن عتو. (2009). أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني. الحوار المتوسطي، 01(01)، الصفحات 74-82. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/14913

تواتية بودالية. (2013). الانتماء الحرفي لاهل الصناعات في المغرب الاوسط. الناصرية 04(01)، الصفحات 253-276. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/7586

تيري ايغلتن. (2018). الثقافة. (لطيفة الدليمي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار المدى.

سيد احمد دندان. (2001). الحياة اليومية بتلمسان والجزائر من 1936-1996. دمشق، سورية: دار علاء الدين.

عبد الرحمن ابن خلدون. (1974). المقدمة. بيروت، لبنان: دار القلم.

عبد الرحمن ابن خلدون. (2001). مقدمة ابن خلدون – الجزء الاول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر . بيروت، لبنان: دار الفكر للنشر والطباعة.

عبد العزيز فيلالي. (2002). تلمسان في العهد الزياني– الجزء الاول. الجزائر: موفم للنشر والتوزيع.

عبد القادر بوطبل. (1986). تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

فتيحة الواليش. (1994). الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18– ماجيستير . معهد التاريخ: جامعة الجزائر.

فؤاد طوهارة. (2014). المجتمع والاقتصاد في تلمسان خلال العصر الزياني (ق9/7هـ) (ق15/13م). مجلة دراسات تاريخية16(16)، الصفحات 53-112.

فوزي سعد الله. (2016). الشتات الاندلسي في الجزائر والعالم– الجزء الثاني. الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع.

مارمول كربخال. (1984). افريقيا. (محمد حجي، احمد توفيق، و محمد الاخضر، المترجمون) الرباط، المغرب: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

محمد البركة ، سعيد بنحمادة، و عبد الهادي البياض. (بلا تاريخ). النظام الغذائي بالمغرب والاندلس خلال العصر الوسيط–دراسة في سوسيولوجيا الاحكام والقيم والعوائد. الدار البيضاء: دار الزمن.

محمد بلحسان، و عبيد بوداود. (2 11, 2019). اللصوصية واثرها في حركة القوافل بالمغربالاوسط خلال العهد الزياني. مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، 10(02)، الصفحات 280-305.

محمد بومدين. (2020). التطبع الاثنوغرافي التلمساني خلال العصر الحديث على ضوء رحلة لويس دل مارمول كاربخال(1019هـ/1611م). مجلة قرطاس الدراسات الحضارية و الفكرية ، 07(01)، الصفحات 99-https://www.asjp.cerist.dz/en/article/108427.115

محمود مقديش. (1988). نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار. 01. بيروت، لبنان: دار الغريب الاسلامية.

ليلى بولقدام. (2015). لهجة تلمسان بين الامس واليوم.مجلة الذاكرة، 03(01)، الصفحات 265-284. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/66344